

## تصور النظم عند الإمام حميد الدين الفراهي

### CONCEPT OF THE NAZM OF THE HOLY QURAN TO HAMIDUDDIN AL-FARAH

الدكتور منظر عالم \*

#### ABSTRACT:

*The Nazm in Holy Quran as theory has been found since the first century, but it developed and reached to the peak after the efforts of the great scholars and commentators likewise Abdul Qahir al- Jurjani ( 400-474 AH.), Al- Jahiz ( 776-869 AD.) , Abu –Hilal al= Askari( 920-1005 AD.), Zamakhshari (1075-1144 AD.), Fakhr al- Din al- Razi (1149-1209AD.) Badr Ad- Din az Zarkashi (1344- 3192) and Al- Suyuti. They made all possible efforts to popularize this in a large scale. As far as Imam Hamiduddin Al-Farahi is concerned, he devoted his life in this field and wrote valuable books that help to understand the Nazm in the Holy Quran. He also proved that the Nazm is an essential component to understand the Holy Quran. He highlighted this theory in such a manner that it became a theory among the theories which were considered obligatory to understand the Holy Quran.*

**KEYWORDS:** Concept, Theory, Origin, Importance, Characteristics

الكلمات المفتاحية: مفهوم ، نظرية، نشأة، أهمية ، خصائص

#### ملخص البحث:

النظم هو أداة مهمة لفهم القرآن الكريم ووصول إلى معانيه وبلاغته وإعجازه، ولذلك عنى المفسرون بهذا الجانب عناية بالغة وقدموا فكرة رائعة وبديعة في هذا المجال، ولكن الرجل الذي اهتم بهذا الجانب اهتماما بالغا هو المفسر الكبير والأديب الأريب الإمام حميد الدين الفراهي الذي قضى ثلاثين سنة في فهم مسائل النظم وأساسياته ، ثم ألف حوالى إثني عشر كتابا معظمها تتمحور على قضية النظم ومبادئه ، ثم قدم إلى العالم هذه الفكرة بكل

\* الأستاذ المساعد قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بابا غلام شاه بادشاه، راجوري ، جامو وكشمير

صراحة ووضوح حتى أصبحت هذه الفكرة منهجا من مناهج فهم القرآن الكريم. وفي هذه الدراسة يحاول الباحث التركيز على مفهوم النظم وأهميته في فهم القرآن الكريم.

### مفهوم النظم لغة واصطلاحاً:

قال الفيروزآبادي " النظم : التأليف، وضم شئ إلى شئ آخر ، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظاما ونظاما ، ونظمه ، أى ألقه وجمع في سلك فانتظم وتنظم ، والنظم ، كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه جمع نظم.<sup>1</sup> ومنه قول لبيد بن ربيعة:

وتضى في وجه الكلام منيرة كجمانة البحري سل نظامها<sup>2</sup>

وقالت خنساء ترثي أخاها صخر:

ألا ما لعينك لا تهجع      تبكي لو أن البكا ينفع  
كأن جمانا هوى مرسلا      ودموعها أو هما أسرع  
تحدروا وأنبت منه النظام      فانسل من سلكه أجمع<sup>3</sup>

**النظم اصطلاحاً:** النظم في مصطلح علماء القرآن يقصد به ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني.

نبذة عن النظم:

إن النظم قد أدت دورا حيويا في فهم معاني القرآن الكريم وأساليبه وإعجازه ولكن السؤال المهم من أين جاءت هذا؟ هل بدأ فجأة، بين عشية وضحاها؟ أم لا ... بل هذا كان نتيجة للجهود المستمرة والممارسات الطويلة التي قام بها العلماء البارزون والمفسرون الكبار طيل حياتهم .

<sup>1</sup> الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص 1162

<sup>2</sup> ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، المجلد الأول ، ص : 112

<sup>3</sup> ديوان الخنساء ، ص 92

وإذا ألقينا النظر في تاريخه فوجدنا أن الإمام عبد القاهر الجرجاني (1009-1078م) هو الذي اهتم به ثم طوره وأصله واشتهر به، وألف كتابا بديعا سماه "دلائل الإعجاز"، وبالنظر إلى جهود الجرجاني يعتبره بعض الناس من مؤسسي هذه النظرية، ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما، هناك رجال ممن سبقوا عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الفكرة، ومنهم الأديب الكبير والناقد الشهير الجاحظ (159-255هـ) الذي ألف كتابا باسم "نظم القرآن" وكذلك أبو الهلال العسكري (920-1005م) عقد بابا خاصا بالنظم في كتابه "في الصناعتين" تحت عنوان "الباب الرابع في البيان عن حسن النظام وجودة الرصف والسبك". وقد اعترف الجرجاني بهذه الحقيقة في كتابه "دلائل الإعجاز": في فصل قوله في النظم وتفسيره ما نصه "أيضا،" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره والتنويه بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ولا قدر للكلام إذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وبثهم الحكم بأنه الذي لإتمام دونه ولا قوام إلا وبه وأنه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال".<sup>4</sup>

وكان الرمخشري (1074-1143م) له جهود مشكورة في هذا المضمار، وأنه حاول أن يطبق نظرية النظم في تفسيره "الكشاف" تطبيقا دقيقا، وكذلك كان الإمام فخر الدين الرازي (544-606هـ) أشار في تفسيره "الكبير" و"مفاتيح الغيب" إلى هذا الجانب، واهتم العلامة بدر الدين الزركشي (1344-1392م) في كتابه "الرهان في علوم القرآن" به، وكان الإمام السيوطي (1445-1505م) حذا حذوه وسلك مسلكه في "الاتقان" أيضا.

وممن صنفوا في ترتيب السور للغرض الذي نشير إليه أبو جعفر أحمد إبراهيم الزبير الأندلسي قد صنف كتابا سماه "الرهان في مناسبة ترتيب القرآن"، ولعل الكتاب الجامع المتداول في موضوع المناسبات ولآيات والسور جميعا كتاب "نظم الدرر

<sup>4</sup> دلائل الإعجاز: ص: 80

في تناسب الآيات والسور " للإمام المفسر برهان أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي، وقد أشار الإمام الفراهي في تفسيره إلى هذين الكتابين أيضا.<sup>5</sup>

### إطالة على حياة الإمام حميد الدين الفراهي

يعتبر الإمام الفراهي مفسرا كبيرا و أدبيا بارعا وشاعرا طليعا وماهرا في العلوم واللغة والأدب ويظهر أثر نبوغه وبراعته في مؤلفاته وكتبه ورسائله التي بلغت عددها إلى خمسين، معظمها يتمحور حول القرآن الكريم ومعانيه ومفاهيمه وأساليبه وتأويله، وهذه الجهود قد أتت بشمارها الياقة وحول كلمة النظم إلى النظام بمعناها الأوسع والأشمل ، وألف تفسيراً قيما باسم " تفسير القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" ولكن لم يكمل تفسيره حتى جاء الأجل.

### مكانة الفراهي عند العلماء

وقد اعترف العلماء من العرب والعالم الإسلامي بعبقرية الإمام الفراهي ونبوغه في مجال التفسير، ومن أبرزهم المحقق الكبير والمؤرخ الشهير سيد سليمان الندوي فهو يقول:  
" وهو شخص واحد يجتمع فيه عالم من العلم والمعرفة ، ماهر في العلوم الدينية، ناقد العلوم العقلية، وحيد عصره في العلوم العربية ، ونسيج وحده في علوم القرآن وعارف بحكمته ودقائقه ولكن لم ينقل من علمه ..... مع الأسف ... إلى الدفاتر والأوراق إلا قليل".<sup>6</sup>

وقال العلامة رشيد رضا المصري بعد إن اطلع على بعض أجزاء من تفسير الفراهي ما نصه "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر ، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير ، يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية دون المباحث الفنية العربية ، وإن للمؤلف لفهما ثاقبا في

<sup>5</sup>د/ محمد عنایت الله أسد سبحانی ، مقدمة البرهان في نظام القرآن ص: 3

<sup>6</sup>مجلة المعارف الأردنية المجلد، 26، العدد السادس ص: 26

القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان، وأنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان شواهدها".<sup>7</sup>

وقال العلامة اللغوي الدكتور مُجَّد تقي الدين الهلالي المراكشي بعد زيارته للفراهي في مسقط رأسه عام 1342 من الهجرة، وهو كان يزور الهند آنذاك يقول: "إن الرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلاً عن علماء الهند، سمعت منه خطبة تفسيره من القرآن الكريم، اغرورقت عيناى لفصاحتها وحقيقتها، وهو مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتمي لمذهب ولكنه يتعبد على مذهب الحنفية لأنه نشأ عليه، ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل، ماهر في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردية، وبالجملة فهو أعلم من لقيته قبل هذا الحين".<sup>8</sup>

وقال العلامة الشيخ أبوالحسن علي الندوي: "إنه جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية وبين التشبع من دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة وسلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".<sup>9</sup>

### تصور النظام عند الإمام الفراهي

إذا ألقينا النظر في إسهامات العلامة الفراهي في مجال القرآن الكريم وجدنا أن فكرته الرئيسية التي تدور حول نظرية النظام هي "الوحدة الموضوعية"، وهي إحدى النظريات التي اشتهر بها العلامة لا في الهند فحسب بل العالم العربي والإسلامي كليهما، كما يقول العلامة بصراحة: "إني لم أسلك مسلك أحد في

<sup>7</sup>الدكتور أجمل الإصلاحي في ترجمته للفراهي " مفردات القرآن ص : 21 نقلا عن رشيد رضا ، مجلة المنار، عدد شهر صفر ، عام 1327 هـ

<sup>8</sup> المراكشي تقي الدين ، مجلة الضياء ، دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ ، المجلد الثاني ، العدد السابع ، ص: 26

<sup>9</sup> في مقدمته للفراهي " الأمعان في أقسام القرآن للشيخ عبد الحميد الفراهي ، ص: 13

البحث عن النظام ، بل منحني الله تعالى بصيرة تامة في هذا المجال ، وليس من الصحيح إن قلت أنا أول شخص الذي بحث عن النظام في القرآن الكريم ، بل اعتنى العلماء بهذا الجانب من قبل وألف كتباً قيمة فيها مثل "البرهان في مناسبة سور القرآن" للعلامة أبي جعفر بن زبير و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للشيخ برهان الدين البقاعي ، وكذلك أشار العلامة السيوطي إلى هذا الجانب قائلاً: أن النظم من أرفع العلوم" وكذلك ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره أن أكبر حكمة القرآن كانت مخفية في النظم والترتيب".<sup>10</sup>

ويرى العلامة أن القرآن كلام محكم منظم، وأنه لو تأخر ما تقدم ، أو تقدم ما تأخر لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام ، وأن نظامه في معانيه كما هو في ترتيب آياته وسوره أيضاً، فإن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويترامي بجملته غرض واحد كما تتعلق الجملة بعضها ببعض في القضية الواحدة ، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية ويقول الفراهي أيضاً وهو يسهب عن نظريته: " مرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة ثم تكون ذاتها مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتالي قبلها أو بعدها، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، كما أن الآيات ربما تكون الجمل المعترضة ، فكذلك السورة تكون كالجمل المعترضة وعلى هذا الأصل ترى أن القرآن كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر.

وإذا ظهر النظام في القرآن، فلا بد أن تظهر لكل سورة صورة مشخصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد ، وكان الكلام ذا وحدانية ، فحينئذ لا

<sup>10</sup> الإمام حميد الدين الفراهي . تفسير نظام القرآن ، دائره حميدية ، سرائر مير أعظم جراه ، ص

يكون إلا وله صورة مشخصة وإذا نظرت الكلام من هذه الجهة رأيت ما فيه من الجمال والاتقان والوضوح.

وقد وافق على نظرية الفراهي بخصوص نظم القرآن الأستاذ عنايت الله أسد سبحاني قائلاً: " إن النظام ليس أمراً مقصوداً عند العلامة الفراهي لذاته وإنما هو المنهاج الصحيح لتدبير القرآن، وأفاد أن النظام هو المفتاح الذي تفتح كنوز حكمة القرآن، وأن السعي في البحث عن النظام الذي لم يوصل إلى هدفه المنشود وهو سعي بلا جدوى، وصرح أن كل نظام لا يمكن أن يقبله بل يقبل النظام الوحيد الذي يوجد فيه حسن التأويل، وفي بعض الأحيان يمكن أن يقوم النظام في العبارة بتأويل ضعيف، ولكن لم يقبل لأنه قد فتح باباً للكلام التي لا أساس لها وسد السبيل للنظام الأعلى الذي كان عظمة كلام الله تعالى".<sup>11</sup>

### خصائص النظام

- إن لنظرية النظام خصائص تساعد في فهم القرآن والوصول إلى مراد الله تعالى، ومن أبرزها:
1. التأمل في النظام يرشد إلى فحوي الكلام وملايساته والذي يغفل عنه يتعذر عليه العثور على ما ترمي تلك الآيات.<sup>12</sup>
  2. النظام هو الدليل في صحيح التأويل إذا اشتبهت الوجوه وكثرت الاحتمالات.
  3. النظام مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه كما أنه سر من أسرار إعجازه فإنه هو الذي جعل القرآن بحراً لا يسير غوره ولا ينفد كنزه.<sup>13</sup>

<sup>11</sup> . عنايت الله السبحاني : علامة حميد الدين فراهي ، حيات وأفكار ، مقالات فراهي سمينار ، دائره

حميدية ، سراى مير ، أعظم جراه ، ص 112-113

<sup>12</sup> الفراهي : دلائل النظام ص: 4

<sup>13</sup> نفس المصدر ص41

4. النظام يفتح العيون على وجوه البلاغة لكن الذي لا يهتم به يتعذر عليه أن يتذوق بلاغة القرآن أو يدرك ميزته التي أعجزت فرسان الكلام.<sup>14</sup>
5. رعاية النظام تمكن فهم أسباب النزول والذي يغفل عنه يتحير في فهمها ويضعها في غير موضعها ، ثم يتحير في تأويل الآيات وتفسيرها.<sup>15</sup>
6. رعاية النظام والحث عن رباط الآيات هي المحك الناجح في نقد الروايات التفسيرية، فيها تفسير الضعاف من الصحاح ويتميز السقيم من السليم.<sup>16</sup>
7. الوقوف على نظام الآيات يسمو بالدارس إلى ذروة الشوق والمحبة واللذة التي لا يصل إليها أبدا من لا يهتم بنظامها ، فإن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بزيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البيان.<sup>17</sup>
8. هذه ثمانية مزايا يتميز بها من يتدبر القرآن ويتمسك في تدبره بسياق الكلام ولطائف النظام، ولا يغفل عن الوشائج التي تربط المعاني بعضها ببعض.

#### ملخص القول:

إن النظام كنظرية وجدت منذ القرون الأولى ولكن بلغ هذا الفن إلى الذروة والكمال بعد جهودات العلماء الكبار والمفسرون العظام الذين بذلوا في ما في وسعهم وأوصلوه إلى نطاق واسع ، ومنهم المفسر الكبير الهندي الإمام الفراهي الذي كرس حياته في هذا المضمار وألف كتبا قيمة التي تساعد على فهم النظام ، وكذلك أنه أثبت أن النظام ضروري لفهم

<sup>14</sup> نفس المصدر ص: 45

<sup>15</sup> نفس المصدر 51

<sup>16</sup> مُجَدَّ عنایت الله أسد سبحانی ، إمعان النظر في نظام الآي والسور ص 106

<sup>17</sup> نفس المصدر : ص : 106

القرآن الكريم ووصول وروحه وغايته وتصدى لنشرها بصورة خاصة جذبت أنظار العلماء العرب، ثم أصبحت هذه النظرية كمنظريّة بين النظريات أو منهج من المناهج لفهم القرآن الكريم فهما سليما دائما يشغل العلماء والمفسرين والمعنيين بالدراسات القرآنية.

## المراجع والمصادر

1. الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، عام 2005م
2. لبيد بن ربيعة العامري : ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، عام 2011م
3. الخنساء: ديوان الخنساء، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، عام 2004م
4. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي ، مصر القاهرة ، عام 2008
5. مجلة المعارف الأردنية ، أعظم كره ، أترابرايش ، الهند، المجلد 26، العدد السادس
6. الدكتور أجمل الإصلاحي في ترجمته للفراهي " مفردات القرآن نقلا عن العلامة رشيد رضا ، ملحة المنار، عدد شهر صفر، عام 1227هـ
7. المراكشي تقي الدين : مجلة الضياء ، دار العلوم ندوة العلماء ، المجلد الثاني ، العدد السابع
8. الإمام الفراهي : الإمعان في أقسام القرآن ، دائره حميدية ، سرأى مير ، اعظم كره ، أترابرايش ، الهند ، سنة الطباعة لم تذكر
9. الإمام عبد الحميد الفراهي : تفسير نظام القرآن، دائره حميدية ، سرأى مير ، اعظم كره ، أترابرايش ، الهند ، عام 2009م
10. عنايت الله السبحاني : علامة حميد الدين الفراهي : حيات وأفكار، مقالات فراهي سيمينار ، دائره حميدية ، سرأى مير أعظم كره ، أترابرايش الهند ، عام 1992م
11. عنايت الله أسد السبحاني : إمعان النظر في نظام الآي والسور ، دار عمان، الأردن ، عام 2004م
12. عنايت الله أسد السبحاني : البرهان في نظام القرآن ، مكتبة الجامعة ، إسلام آباد، باكستان ، عام 1994م